عدد ٤٧ ١٨ م السنة الثانية

المنار

١٣١٥

مصر في يوم السبت ١٠ شوال سنة ١٣١٧ * ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٠

طفولية الأمة . وما فيها من الحيرة والغمة

لاهمّ للطفل في أول عهده بالوجود الا ارضاء شهوة البطن يساق اليه الغذاء فيلهم تناوله الهاما ثم يعطى التمييز بالحواس الظاهرة ثم بالحواس الباطنة يكون فيه أولا ضعيفا ثم يقوى بالاستعمال تدريجا . يطلب أولا كل شيء يراه للاكل قريبا كان أم بعيدا ثم يطلبه لاجل اللعب . يجهل أولا تحديد المسافات فيمد يده الى قمر السماء ويحاول القبض على الطيور في الهواء ثم يشعر من تكرار الخيبة بضعفه وعجزه فيطلب مثل هذا من أبيه أو أمه لانه يعهد منهما بالمعاملة في كل يوم تحصيل رغائبه التي يعجز عنها . ثم يتم تمييزه لهذه البديهيات وينتقل الى مبدأ طور الفكر والتعقل وادراك المصالح والمنافع في الجملة وهو طور بين الطفولية والرجولية . ولكن الولدان يكونون فيه أقرب الى ماضيهم من مستقبلهم فيؤثرون ما يرتاحون اليه ويلتذون به على مافيه كلفة ومشقة إن كانت المصلحة وحسن العاقبة في هذا دون ماقبله وينظرون الى أنفسهم وحدها دون من يعيشون معهم لانهم يتوهمون ان الانسان مكلف بنفسه دون غيره وانه يمكن له ان يكون سعيدا بين الاشقياء وناعما بين ذوي

البأساء والضراء ولذلك كانوا في أشد الحاجة الى الهادين والمرشدين الذين يثقفونهم ويربونهم مستعينين عليهم بهدي الدين وحوادث الكون والوجود والا انتقلوا الى طور الرجولية بحيوانيتهم دون انسانيتهم وباجسامهم دون أرواحهم وأحلامهم.

وبعد فان هذا العدد العظيم الذي يبلغ ثلاثمائة الف الف أو يزيد الذي نسميه الامة الاسلامية قد أمسى بحالة من الضعف الصوري والمعنوي والفقر المادي والادبي يستحي من ينتسب اليه من وصفها وشرحها وقصارى مانقول فيه انه لايسمى أمة الا بضرب من التجوز كما تسمى صورة الاسد المرسومة في الجدار أسدا فقد كان المسلمون وهم أقل الامم عددا وعددا أعز الامم وأقواها وأعلمها وأغناها ثم انقطع السلك فتناثر الحب وبطل اطلاق اسم العقد عليه الا اذا لوحظ ما كان دون ماهو كائن . ويظن الجاهلون انه لارجاء في نظم العقد ثانية وانتظام شمل المسلمين ويعتقد الذين لايقنطون من رحمة الله ولا ييأسون من روحه انه لابد ان ينجز لهذا الدين وعده (ليظهره على الدين كله) فيستمر ظهوره وغلبته الى آخر الزمان . وقد ورد في الخبر . ان أمة النبي صلى الله عليه وسلم كالمطر لايدري أوله خير أم آخره بل ورد أيضا ان الخير فيه (عليه الصلاة والسلام) وفي أمته الى يوم القيامة.

قد أتى الامة حين من الدهر والخير فيها يقل والشر ينمو حتى وصلت الى ماهي فيه اليوم واننا نرى الآن في جوها المظلم بالفتن برقا يومض بين الغيوم المتكاثفة ويوشك ان يعم فيكون الظلام نورا . أو أقول كما قال حكيمنا (انني أرى في هذه الشجرة اليابسة (الامة الاسلامية) ورقات خضر ولا أدري هل هي من بقايا حياتها الاولى أم هي مبدأ حياة جديدة ؟) وأزيد

على هذا ترجيح الشق الثاني بدليل ان الورقات تزيد ولكنها عرضة للتصوّح والسقوط بما يهب عليها من بوارح المحن وزعازع الفتن اذا لم تحط بالتربية الصحيحة ولذلك شبهت الطور الذي فيه الامة الآن بطور الطفولية ونبهت الى شدة الحاجة الى المربين والمثقفين

أليس السواد الاعظم منا لا يهمهم الا لذاتهم وحظوظهم الشخصية كما هو شأن الاطفال ؟ هل يفقهون معنى الامة ويعلمون ماهي المقومات التي تقوم بها والروابط التي تجمعها والامر الذي تؤمه وتقصده ؟ هل يتفكرون في الحياة الاجتماعية وما يعرض عليها ؟ كلا ان من يتجاوز فكره محيط شخصه فلا يعدو بيته وولده وهو في هذا لا يمتاز على الانعام . واذا ذكرهم مذكر أو نبههم منبه يحارون وتضطرب افكارهم . ولا يكادون يفهمون الحقيقة وهم الآن على درجات فمنهم من لا يفكر في معنى الامة قط ومنهم من يرى البعيد قريبا كالطفل الذي يمد يده لتناول القمر كما جرى ويجري لبعض الحكام واصحاب السلطة كاسماعيل باشا واصحاب الفتنة العرابية . ومنهم من يرى نفسه عاجزا عن كل شيء ويرى الحاكم قادرا على كل شيء كما هو شأن الطفل الذي يطلب القمر او الطير في الهواء من امه او ابيه . ومنهم من يفتكر في المصالح والمنافع التي تخص الامة ويعذل المقصرين وهو منهم ولكنه يغض الطرف عن عيوبه وينظر الى عيوب الناس بالنظارة المعظمة واذا عمل فانما يعمل لشخصه واذا وقعت مصلحة الامة في طريقه داسها ومضى في سبيله كما هو شأن الولدان في اول طور الفكر والتعقل ومنهم الذين دعوا الى الاجتماع لاجل العمل فاجتمعوا فصاح بهم صائح الفتنة فتفرقوا (كنبأة أجفلت غفلا من الغنم) او كالصبيان يجتمعون للعب فينعق بهم ناعق فيتفرقون

أيدي سبا لانهم لم يتربوا على الاجتماع ولا يقدرون الاعمال الاجتماعية قدرها. وليس عندهم شيء من اخلاق الرجال. كالصبر والثبات والاحتمال. نقول في الامة (المجازية) ماقلنا في شأن الاطفال انها في اشد الحاجة الى المرشدين والمربين الحكماء العارفين بالامراض الاجتماعية وأدويتها وطرق علاجها لتكون بهديهم امة حقيقية. وقد يوجد فيها افراد منهم يشاركهم في عملهم اكثر منهم من المتصدرين الجاهلين يهدمون مايبنون ويفسدون مايصلحون. (ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون) وقد صار هؤلاء الاطفال في احلامهم الرجال في اجسامهم في حيرة وغمّ عليهم الامر باختلاف المرشدين ويميل الاكثرون الى من لايكلفهم عملا ولايلصق بهم عارا ولا زلالا وسنبين مثارات الحيرة ومناشيء الغمة في مقالة اخرى ان شاء الله تعالى

باب التربية والتعليم

أميل القرن التاسع عشر

(٢٠) من هيلانه الى اراسم في ٣١ يونيه سنة ١٨٥

اكتب اليك أيها العزيز اراسم قياما بما اخذته على نفسي من احاطتك علما بما أفعل وما أرى وماأسمع فأقول

اتفق لى منذ بضعة أسابيع ان كنت في بيت صديقك الدكتور فرأيت عنده رجلا من ايقوسيا وهو شيخ طويل نحيف علمت انه من أصدقاء ذلك البيت وانه غادر بلاده لاسباب مجهولة عندي ولكونه لايستطيع المعيشة بعيداً عن منظر البحر والصخور والرمال قد نزل بكورنواي الى حين. يبدي هذا الرجل من التنطع والتشدد في آدابه وهيآت افعاله مالو أبصرته الفرنساويات لضحك عليه كثير منهن على ماأرى فانه اذا سعل يسعل بانتظام واذا دخلت عليه سيدة في قاعة الاستقبال وثب قائما كأنه